Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



كثيرا عن علاقة الوحدات أو العناصر المكونة للجدار ، ونشير هنا إلى قول مرجرى بولتون : « سنجد دائما فى أى قصيدة شيئا ما لا نستطيع تحليله ، لأنه لا يوجد إلا فى القصيدة بجملتها ، وحين نحاول أن نعرف لماذا تمتعنا قصيدة ما فإن علينا أن نفصل أجزاءها المختلفة ، والسبب فى هذا عملى بشكل ساذج ، فمع أننا نستطيع أن ندرك عدة أشياء دفعة واحدة فإننا لا نستطيع أن نصف هذه الأشياء فى نفس اللحظة ، إننا لا نستطيع أن نفكر فى عبارتين كاملتين معا فى وقت واحد ، وبعد أن نفصل العناصر المختلفة التى تكوّن القصيدة سنجد أن شيئا ما قد فقد . . إن أحدا لن يستطيع تحديد العنصر الحيوى فى القصيدة تحديدا قاطعا »[١٢] ونضيف هنا ما أشارت إليه وينيفريد نوفتنى من أننا حين نسعى نحو فكرة البناء فى قصيدة فإننا نسعى وراء شىء له طاقة غير مألوفة[١٣] ، وهذا كله سيعنى فى النهاية أن تحليل القصيدة إلى عناصر ، ومن ثم التكلم عن « الصور » بمعزل عن سائر العناصر ضرورة ، كما أن النظرة الكلية ضرورية أيضا لاكتشاف هذا العنصر الحيوى الغامض ، وهو يعنى – فى رأيى – أن القصيدة ليست مجرد حاصل جمع عناصرها ، وأن هذا العنصر الحيوى ما هو إلا التأثير المتبادل بين العناصر ، وهذا يعنى فى النهاية أن دراسة الصورة تظل ناقصة مالم تستكمل بدراسة البناء ، بل إننا نبادر الآن فنكشف عن فكرة سنطرحها ونوضحها ، مؤداها أن الصورة المفردة قد تظل ناقصة مالم تقرن إلى صورة أخرى ، وأن الصورة النهائية ليست فى إحداهما ، وليست فى مجموعهما ، بل فى شىء ثالث لا نقول إنه يتولد منهما ، بل يتولد بينهما .

إن هذا التصور الخاص لنمط من الصور ، ولوظيفة بعض النماذج سيجعلنا نعيد النظر فى تقسيم علوم البلاغة العربية إلى معان وبيان وبديع ، وتقسيم علم البيان إلى استعارة وتشبيه وكناية . إننا بالطبع لا نفكر فى إضافة قسم جديد أو إلغاء قسم قديم ، ولكننا نرى أن التعبير الفنى المحدد بوظائفه ينتقى عناصره المبرزة لخصائصه دون أن يعبأ بهذه التقسيمات المأثورة التى ألصقت بكل علم مميزات محددة لوظيفته ودرجة أهميته معا ، ونضرب مثلا بعلم البديع الذى عدته الكثرة من الدراسات القديمة مجرد مكمل أو زخرف خارجى للتعبير الفنى ، فإننا سنجد من أقسامه ما هو من صميم البناء الشعرى ، لا يقل أصالة وجذرية وثراء عن الاستعارة نفسها التى أجمعت الدراسات النقدية فى كل العصور على أنها جوهر الشعر ودعامته .

---

(١٢) The Anatomy of Poetry, P. 2.

(١٣) Winiphred Nowottny: The Longuage Poets Use, Pl. 74.